و.. التفاتٌ على بعض "دُرره" [1]

مدخل:

..." الشعر/ فن المتنبي الخاص[2]..، به ارتقى سلّم التاريخ،[3] وعن طريقه أظهر مواهبه، وكان مُعجباً به ومعتداً بأهميته، شغله عن بقية الفنون، واستهلك أكثر نشاطه العقلي والجمالي، ولم يعتبر نفسه حين استغرق فيه مُستهلكاً... في أمر تافه قليل الاعتبار، بل اندفع إليه بحماسةٍ قليلةِ النظير، وأدرك ماله من أثرٍ على حياة الناس وتفكيرهم، فكان يُشبّه شعره بالشمس المضيئة للكون.. كما سمّى قصائده بالشُّرد الخالدات".[4]

ولعلّي.. أُطلع القارئ على ما يحسن له الإشارة.. من بعض ذلك

---

[1] بين درر المتنبي التي علقت في الذاكرة حين الاطلاع المتكرر على ديوانه.. تفتقت عن هذه "القراءة".

[2] ..قال في مستهل لقائه بـ "سيف الدولة":

– فجئتك لا ألوي على أحدٍ – أحُثّ راحلتي: الفقر، والأدب!

[3] .. بل هو الذي عرّفنا بشخصه، و..عطف بذائقتنا.. إليه، وصدق ابن الوردي:

قيمة الإنسان ما أحسنه أكثر الإنسان منها.. أو أقلّ !

[4] كتاب "المحصول الفكري للمتنبي" لـ/ سهيل عثمان، ومنير كنعان، ص٣٢٢.

وإن كان المتنبي سمى شعره بالشُّرد الخالدات، فقد سبقه (كعب) بوصف شعر والده زُهير بـ.. "بقين بقا الرحى في الحجر الأصم". – مع عدم البناء على المثل/ كل فتاة بأبيها معجبة – لأنه شاعر(*) رضي الله عنه من الفحول.. ولا يُثني إلا على من يستحق الثناء.

– (*) قال ابن سلام – مبالغاً: لا يضبط الشعر إلا أهله –

الأثير[1].. وقعه..

١/ بـأبي مـن وددتـه فافترقنـا وقضـى الله بعـد ذاك اجتماعـا

..وافترقنا حـولاً، فلمـا التقينـا كـان تسـليمه علـيّ وداعـا

أودُّ أُحادث "ذاتك": - كما قيل - إن هذين البيتين أوّل ما نظمت!

هل داعيهما: أوّل "حب" خلب جنانك[2]، فـأجلى بـه عـن موهبتـك - الشعرية - بعض غِشاوةٍ.. أو قليلُ "حياءٍ" كان يسترها؟

.. ربما أستنتج "جوابك" من سيرتك.. أو بداياتك الشعرية.. كا:

أيـا خـدّد الله ورد الخـدود

و...:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة، فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين، في وقت معا

ثم.. أُحوّر عن هذا.. إلى:

أأحببت.. فنظمت !

أم أُعجبت.. بمن لاقيت !؟

---

[1] قال د. عبد العزيز الدسوقي: إن في شعر المتنبي شحنات حارة متأججة، وفيها إشعاع فني يحرك الوجدان، ويثير العقل من أين يجيء هذا الإشعاع الفني؟ إنه ينبعث في الأساس من سحر الشخصية وجاذبيتها وبهذا الإشعاع الفني يمكن أن نصف كثيراً من مشاهد قصائده، وندرك أسرارها الفنية.

[2] ..كما أوضحت بعد:

ولكـن حبّـاً خـامر القلـب في (الصِبـا) يزيـد علـى مـرّ الزمـان ويشـتدُّ

أم هدف - لم يبنْ لنا - وددت إيصاله.. فنسجت ذينك البيتين!

مهما يكن "الجواب" فهو - وهذان البيتان - إمارةٌ لأوليات "موهبتك" في الشعر.. لتكن:

أبا الطيب.. (الشاعر).. المتنبي..، الذي: "ملأ الدنيا وشغل أهلها!".

٢ / يكاد أبو الطيب "الخبير بالحياة" يقرأ زماننا - الذي مائل زمانه - فيُلقي علينا من قوارعه أو (حِكمهُ).. مثل:

إنّا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال

أللهّ.. يا أبا الطيّب، من أكثر!، ألا تفاءلت وقلت من بعض الناس..، أو على الأقل من شطر الناس..،

لا أيها المُجيد - في النظم - أظن أنه خانك التشاؤم بهذه المرّة،[1] فترك القبيح من سمات المسلم وهو الذي - أظنك - لم تعنه بهذا الإنشاء![2]، ولا أظن أنك ستجيبني:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

لأني كما أسلفت أرى ترك القبيح من سمات المسلم السامي بمثل هذه

---

[1] ..كما خانك من قبل.. - مثلاً:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس، روّى رمحه غير راحم

- وهذه.. مخالفة شرعاً.. ولكن سامحه الله -

[2] وروى البخاري رضي الله عنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً".

"الخصال"[1].

.. إذا لم أُعب قولاً صحيحاً، بل قللت من صدق ما لا يحتمل شطر الصحة - إلا ما شاء الله -.

ثم هذه المشأمة، رجوت أن لا أراها حكمة تُنطق بين دفتي ديوانك،.. إذ المرء مُعلّق - بعد الرجاء بالله والتوكل عليه - بحبال الآمال والأماني التي تُضيء ولو بصيصاً من النور في طريق الحياة - الطويل -..

٣/ نحنُ من ضايق الزمان له فيـ ـكَ وخانته قُربك الأيام

لا أعتقد أيها "العبقري" وأنت تُفخم ذاتك بـ -نحن- ثم نقلب إلى ممدوحك بـ ضايق الزمان فيه.. وخانت الأيام بقربه، أنك سوف تسلب من تقويمنا لك أو لممدوحك!

فهذا الذي ضايق الزمان فيه/ أمضيت في رحابه "تسع سنين"[2] أي ما يقارب "عقداً" من عمرك، وكان هذا العقد - مرحلة الأربعينات من العهد المضفّر منك بالدرر-[3]

---

[1] قال العابد عبد الله بن المبارك - رحمه الله -:

وإن امرؤ لا يرتجي الناس عفوه ولا يأمنوا منه الأذى للئيم

- .. ويرى ماركوس أوريليوس: أن أقوى ضروب الانتقام هو: ألا تكون صورة من عدوك.

[2] لدى سيف الدولة.

[3] .. حتى قيل (أن ما نظمه خلالها في مدح سيف الدولة يبلغ ثلث شعره).

-جواهر المتنبي ص١٦/ عبد الله خياط-

ولا أريد أن أُسهب وأقول: أنه كان بالإمكان أن تتم عيشك وأنت في رحابه[1].. لولا الحسّاد، أو لنقل (المنافسون)[2] - لا مضايقة الزمان.. أو الأيام كما قلت-.

الذين ما انفكوا للتفريق بينكما.. وليس الزمان[3] أو خيانة الأيام.. كما حاولت إيهامنا بأنهن السبب.. بهذه المضايقة - أو الخيانة- وصداه داخلك.. - فقط - أن/

وقت يضيع، وعمر ليت مُدّته في غير أمّته..، من سالف الأمم

إذاً..!..،

٤ / وما أنا مِمَن يدّعي الشوق قلبه ويحتجّ في ترك الزيارة بالشغل

لا أكذب.. إني حين أقرأ لك.. مثل ذلك أن أردد - في صداي - أنك استطلعت إحساسي الداخلي، وداخلت وجداني كحالك في هذا (البيت) ..لأني أحتجّ مثلك.. - ليس دائماً - بترك الزيارة بالشغل[4]!

---

[1] ..ألم تقل - في ضيافته -:

قيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

- وقد قيل (في معنى عجز البيت): الإنسان أسير الإحسان -

[2] ..أو خُيّل إليك - من الغرور - ..أنهم حساد! - انظر ما تقدم ص١١٩ - ..يُعلله قولك:

بلى قضت الأيام بين بعضها مصائب قوم، عند قوم فوائدُ

[3] والذي - على حد تعبير أحد أقرانك (أبو تمام)- بـ/ **هو الزمان لا يُصغي إلى من يعاتبه!!**

[4] .. ربما لظاهر "العلة" هذه - المنطبقة على البعض - :

جزاء كل قريب منكمُ.. ملل وحظّ كل مُحبٍّ منكم.. ضغن

و..ما يدريك -أيها القارئ للذات- أنني (أحتجّ في ترك الزيارة بالشغل) علم الله أنك لو خالطتني.. لقلت أن هذا الخليط فاضحي أو مفشي ما كتمت بسري-[1]

٥ / وما .. قتل الأحرار كالعفو عنهم

أشهد أنك أصبت كبد الحقيقة،..

فهل يقتل "الحر" غير العفو عنه، كفاك أيها - الخبير- مسّاً لمواقع في القلوب..، تفيض حين تقرأ مثل هذا الزخم.. أن لا تكمل فتقتل الإحساس، يا أيها "الحساس" بما تتناوله من قول على واقع ذوي النفوس الكبيرة بمعناها[2] -لا بمبناها-.

---

[1] بل كطبيب (علم النفس) يقرؤها من الخارج.

قال الأستاذ شرارة - ت١٩٨٨م - عن هذه الخاصية:

(.. هذه البراعة في وصف الانطباعيات الخاصة التي جعلت أبا الطيب يفوق معظم الشعراء في تاريخ العالم على وجه التقريب لا في دنيا العرب وحدها.. مهما عيب عليه من هفوات، أو عُدّ له من سقطات).

-.. ومع ما تقدم (ص٩٧ هامش ٢) نردد قول ابن سلام (ما أرادت أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت) وانظر هامش (٢) ص ٤٧ -

[2] قال عنهم - أو فيهم - سليمان العيسى:

الصادقون يتامى في مدينتنا ... في جيلنا يمضغون اليأس والألما

الصادقون وهم في اليأس قافلتي ... وإن حصدت السراب المر والسأما

نبني على شرفات الغيب أغنية ... تبقى وتذهب في جفن المدى حلما

٦/ خُلقتُ ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

إذاً ماذا نقول - جواباً - لأبي العتاهية حين يلذعنا.. بـ:

ألا ليت الشباب يعود يوماً لأخبره بما فعل المشيبُ[1]

فهل صَدْق (هو) بما يألم من شيبته، ووهن جسده، وضعف قواه..!، أم: أنت الصادق - أيها الأليف بيومك وساعتك على ماهي عليه-.

إن كان "أبو العتاهية" صدّق قوله.. كل من شاب فعيب عليه سنّه ليخضب شعره،[2] فقد صدّقك مجرى حياتك.[3]

---

[1] وأقلّ ما فعله "المشيب".. ما قاله أبو تمام:

يا نسيب الثغام(*).. ذنبك أبقى حسناتي عند الغواني عيوبا

(*) نسيب الثغام: الشعر الأبيض.

وسبقه عمر بن أبي ربيعة - تحقيقاً -:

رأين (الغواني) الشيب لاح بعارضي فأعرضن عنّي بالخدود النّواظرِ

[2] قال (ابن الرومي) - بتفنن المُعتذر عن الخضاب -:

لم أخضّب الشيب للغواني لأبتغي عندها وداداً

لكن خضابي على شبابي لبست من بعدهِ حدادا

ثم انسجامه..مع مراد ذاته التي دعته للخضاب وقالت: (.. **إن دفن المعيب .. غيرُ معيب**).

بل.. وهذا من أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم..بقوله:

(غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد) - الحديث -

[3] برغم زعمك - بإحدى المراثي -

وإذا الشيب قال أفّ فما ملّ الحياة..، ولكن الشيب ملا

..آلة العيش صحة وشباب فإذا ولّيا عن المرء... ولا

-...

إذ فارقت حلب الشهباء بعد سنين - لا أظن أنك عشت أجمل منها[1]- ..ومع هذا لم تشتق.. ولم تندم.. ولم تزر سراً.. ولا حاكتك نفسك لذلك[2]...،

-...

والبيت الثاني.. بُني من قوله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون بهما كثير من الناس: الصحّة والفراغ" - الحديث -

أو الاعتراف الواضح.. في رثاء أم سيف الدولة -:

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

وفي المثل الأمريكي - ما يعزّز ذلك -:

"مهما ثقل العبء الذي يحمله المرء، تظل الحياة دائماً حلوة".

[1] قال الباحث (محمد قجة) - رئيس جميعة العاديات الأثرية بحلب-:

(..ويعد مكوث المتنبي في حلب من أعظم فترات حياته وأكثرها ازدهاراً، وقد كتب فيها أجمل قصائده على الإطلاق وأصدقها).

ثم.. أضاف: (عرفت حياة الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبي ثلاث مراحل في ثلاث مدن هي الكوفة، حلب والقاهرة، إلا أن مرحلته الحلبية تعتبر أهم مرحلة في حياته على الصعيدين الشعري والشخصي وهي زهاء تسع سنوات -وقد دخلها بعد وفاة زوجته وهو في الرابع والثلاثين من عمره -..)

[2] ..ودليلي على ذلك.. - أو الأفصح - قول "لاوتزو":

إذا شئت معرفة ما يشغل بال المرء يكفيك أن تُصغي إلى حديثه!

..فهل أستثني لك - من هذا - قولك في رثائك (خوله).. لأميرك:

يظن فؤادي غير ملتهب ... وأن دمع عيوني غير منسكب

..بلى، وحرمة من كانت مراتعه ... لحرمة المجد والقصاد والأدبِ

وفارقت - من قبل - الكوفة والصبا... وجمال (عهده) الذي بها، وجلال موقعه في الفؤاد، و لم يتألم سوى قول "للمشاعر لديك" عنها:

لكِ يا منازل في القلوبِ منازلُ

- فقط..!- ..ثم نواح الذكرى:

ذكرى الصبا ومراتع الآرامِ جلبت حمامي قبل وقت حمامي

نعم هكذا خُلقت ألوفاً..، لكن الحقيقة تُكذّب حتى واقع المرء:

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم ..وأين من المشتاق عنقاء مُغرّب[1]

والحقيقة - هذه - من (الفِطرة)، وليس بيدك أيها المُبدع تغيير سَلمها - رغم تكابرك عليها-...

مغانِ الصِّبا تهوي عليها المعاولُ أضاق الفضاء!..، حتى تُراعِ الأوائلُ[2]

مغانٍ.. هي التاريخ والعمر..والهوى أفي غمضةٍ تقضي عليها المعاولُ .....!!

٧ / غني عن الأوطان لا يستخفّني إلى بلد سافرت عنه إياب

وكان من الأولى أن تقول (لا يُحنني).. وليس لا يستخفُّني.؟!

إذ أن الحنين[3] هو الذي يُعيد[4].. لا الاستخفاف.

---

[1] في عجز البيت: أخذاً من المثل العربي: (حلّقت به عنقاء[*] مُغرب).. إذا ما أخبروا عن هلاك شيء وبطلانه.

- [*] قال الجاحظ العنقاء: طائر خرافي يُسمع به ولا يرى -

[2] عبد العزيز المسلّم.

[3] قال صاحب ليلى "المجنون":

-...

قال - المولّع - (ابن زريق البغدادي)..

بالله يا منزل الكرخ الذي درست ... أثاره.. وعفت مُذ بنت أربعه

هل الزمان معيدٌ فيك لذّتنا ... أم الليالي التي أمضته.. تُرجعه

.. لا أكذب الله ثوب العذر منخرقٌ ... عنّي بفرقته..، لكني أُرقّعه

...إلخ.

٨ / يموت را عي الضأن في جهله ... ميتة "جالينوس" في طِبّه

إذاً: هو "الموت" الذي/.. - **ما عنه ملاذٌ ومهرب !..**[1]

ولا يفرق مذاقه بين من كلّ العمر، وأمضى السنين... وبدّد زهرة أيامه في العلم والطلب والتحصيل،[2] وبين من لا يُميّز بين الألف والقائم المستقيم[3]..،

-...

وأعظم ما يكون الشوق يوماً ... إذا نأت الديار عن الديار

[4] قال أبو العلاء المعري:

فيا برق.. ليس "الكرخ" داري، وإنما ... رماني إليه الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء "المعرة" قطرة ... تغيث بها ظمآن ليس بسال

[1] كما يقول (محمد بن عثيمين).

[2] و.. كما قُلت..

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن ... يخلو من الهم.. أخلاهم من الفطنِ !!

[3] ربما لأنه.. كما يعتذر له حمد الحجي:

نظر إلى الكون نظرة عابر ... يمرّ على الأشياء دون عناءِ

قال "سعد البواردي":

يحيا العالم ثم يرحل، وبقدر ما ورّث في حياته من علم يُشكر ويحيا المفكر ثم يرحل،

-...

إلا أن - الموت الذي يجتمع به الجاهل والعالم - مرحلة التقاء فقط..، ثم بعد الموت يفترقان كما كانا..، قال تعالى - مذكراً أو مُمايزاً -:

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1]؟!

فالعالم بعد موته "شهادة التاريخ" له ولعلمه[2]، وما خلّف كافية لإنصافه،.. من ذلك الجاهل الذي عاش ومات ولم يدرِ به سوى أقرب ذويه، أو بعض مُحبّيه..!

وقد مات أقوامٌ لا عداد لهم كأنهم من هوان الخطب ما وُجدوا[3]

-...

وبقدر ما أعطى لغيره من زادٍ يُذكر.. لا شيء يبقى مع رحلة القبر إلا مرحلة العلم والفكر.. والذكر/ حتى جاء صالحاً ومُصلحاً.

[1] سورة الزمر، آية٩.

[2] هذا في الدنيا إن كان من أهلها فقط، - فله ما رمى منها، من جوائز وتمجيد.. وخلود!

..أما هناك في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ.. ولا بنون - ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾سورة الفرقان، آية٢٣.

أما إن كان مؤمناً -وعابداً[*] -.. بانياً علمه على ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فله.. من وعده سبحانه..﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن..﴾سورة طه، الآية١١٢.

- [*] إذ لا يكفي العلم.. ولا حتى العمل بلا إيمان!.وقد مثّل له سبحانه وتعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾سورة النور، آية٣٩-

[3] أحمد شوقي..، والقائل مُستثيراً الهمم..

-...

هنا "الإنصاف".. وليس الموت الذي يُعدّ - فقط - نقطة إلتقاء ثانية بعد الولادة بين العالم.. والجاهل.

٩ / والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويُشيبُ ناصية الصبيّ ويهرمُ

أوآ.. ما دون ذلك مُلغى يا شاعرنا..؟!

كيف لك أنت و(الهمّ) هذا من الغم الذي يُطبق على القلب فلا يُريه إلا ما يكابده الإنسان.. فإنه - أي الهم - يُعلّ من حمله، ويُعيي[1] من نقله، ويُحلّ البياض في المقلة..[2]

أوآ.. تظن يا أبا الطيب أنك وحدك المهموم..؟ لا و(الذي خلقك من تُراب ثم سوّاك رجلا..) فإن من جرّب الحياة وخبِرها../ أمسى والهموم تُبيّض شعره، وتُظلم نوره، وتكدّر صفوه[3]، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾[4].

-...

إذا مـا مُـتّ.. ونفـق الحمـار أبينـك فـرقٌ.... والحمـارُ !!

(١) يتعب.

(٢) قال تعالى في يعقوب على فراق يوسف عليهم السلام: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾سورة يوسف، آية٨٤.

(٣) قال (ابن الرومي):

هم النـاس والدنيـا، ولا بـد مـن قـذى يلـم بعـين أو يكّـدر مشـربا
ومـن قلـة الإنصـاف أنـك تبتغـي المهـ ـذّب في الدنيـا، ولسـت المهذبـا

(٤) سورة البلد، آية ٤.

-...

وهمٌّ يختلف عن (همّ)..

فمن همّه كبير كبرت ذاته وتوسّعت مداركه، حتى يظن أن العمر - مع تطاوله- قد لا يفي لتحقيق المُنى، كيف لا..؟، قال أحد الصالحين - ذوي "النفوس الكبيرة" و"الهمم العالية"..-: (إن الأعمال أكثر من الأوقات)[1].

فكيف تكثر هذه الأعمال..!، وقد شكى الناس اليوم من الفراغ.. وقلّة الأعمال.![2]

إنما كثرة الأعمال لديه لِعظم الهمّة، وجسامة الأمانة - العمل الذي زوى له وعليه نفسه -، بل وآل عليها ذلك (فرضاً):

-...

وقوله تعالى: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾ سورة الإنشقاق، آية٦.

والكدح: أشد أنواع الشقاء.

[1] يُذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان إذا دخل "الخلاء" قال لإحدى تلاميذه:

اقرأ وارفع صوتك - استثماراً للوقت.. حتى هناك! -

قال الحسن البصري رحمه الله - من قبل -:

أدركت أقواماً كان أحدُهم أشحُّ على عُمره منه على درهمه!

وكان علامة الشام (جمال الدين القاسمي) رحمه الله يقول - مخاطباً من يقعدون على المقاهي.. تسلّياً -: آهٍ يا ليت الأوقات تشترى، فأشتري أوقاتكم منكم.

[2] قال اليونان (أغلى النفقات إضاعة الوقت).

قال ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أهون ما عليك يضيعُ

وإذا كـــانت النفـــوس كبـــاراً تعبـــت في مـــرادها الأجســـام

هنا ينطبق على مثله انحلال الجسم وشيبه.. في عهد الصبا.

١٠/ كد عواك: كلٌّ يدّعي صحة العقل (ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل[١])!

- فعلاً.. كما قال مجنون ليلى: -وإن كان يقصدُ عاذله والحُسّدِ،..

كما قال مجنون ليلى ../ **وذو الجهل يا (ليلى) يجهل –**

هذه والله البلوى: من ذا الذي يدري لما فيه من جهل! [٢]

إذ أن هذا (الجهل) هو المُضني: الجهل المركّب..

عزيزي أيها الحكيم: إن (الجهل المركّب) الذي عبّر عن صاحبه بـ: "صحة العقل" أفرز من مثله بزماننا كثراً، بل من هذا الكُثر لم يدّع

---

[١] .. ليذكّرنا – هذا العجز. بقول الشافعي -أو "الخليل بن أحمد" – رحمهم الله: الرجال أربعة.. ومنهم: رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري..، فذاك غافل فنبّهوه..،

.. حتى إن شاعرنا أغرب.. في التعريف.. عنه:

مَن جاهل بي.. وهو يجهلْ جهلهُ ويجهلُ علمي أنه بي "جاهل"

ربما هذا.. من معنى نظم الخليل بن أحمد في قوله – من باب العتب -:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

[٢] قال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه".

وأجاب حكيم – حين سُئل: ما أفضل العقل – بـ/ معرفة المرء بنفسه.

- وسُئل سقراط: كيف تبوأت مكانتك؟ فأجاب:

"ربما لأنني الشخص الوحيد الذي يعرف أنه لا يعرف!".

صحّةُ العقل.. - فقط -، بل قلب علينا ظهرَ المِجن وأوسمنا بالتخلّف، وهذا لم؟ لأنّا لم نتّبع طريقته، ونتفتّح على العالم ونأخذ منه - أي هذا العالم- سيِّئة وحسنة، كما كان يعلّمه - أي/ صاحب الجهل المُركّب - أُستاذه[1] عميد الأدب[2]!.

فهل استمع إلى تلميح أبي نواس:

فقل لمن يدّعي في العلم فلسفة .. حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياءُ

لذا اسمح لي أن أقول لك: إننا أولى بالتمثّل بهذا البيت "الخالد".. والذي خلّده حقيقته الظاهرة - بالأخص - بهذا العصر!!

١١/ ولم تزل قلّة الإ نصاف قاطعةً بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

أتقولها صادقاً..!؟

والذي فلق الحب والنوى، وأخرج المرعى، أن ليس من سببٍ يُنفّر القلوب -أو يشتتها - ..ويشزرها عن بعضها كمثل "قلّة الإنصاف"،

---

(١) .. فلا نستعجب - أو نستكثر - ..حين وخز أحد المُستشرقين - ما ولّفت حُعبت هذا "...."/ أن لم يزد على القول (هذه بضاعتنا رُدّت إلينا).

- بالمناسبة - حين سُئل الشاعر إبراهيم العريّض: أن طه حسين لم يُعط المتنبي حقه.. من البحث؟ أجاب: بأن طه حسين لا يعرف شيئاً عن المتنبي، بدليل أنه يعتبر إحدى روائع المتنبي - طوى الجزيرة حتى جاءتني خبرٌ - شطحة من شطحات الشباب!! (المجلة العربية عدد ٢٦١)

(٢) لكن.. أي أدب!، يجب أن نحدد، أو نقول - كما قيل عنه -: (سفير الأدب الفرنسي.. في مصر).

وعدم التقدير، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه..[1]

.. فما معنى/ أن تتّشح من المروءة والأخلاق و"العُلا" ما يجبل الغريب (الأريب) على وزنك بمثقالهن،.. ثم لا تجد ذلك - التقدير - من ذوي رحمك - أولى الناس بإنصافك -!.. فـ:

"ظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضة على القلب من وقع السهام المهند"[2]

وسبحان الله أن ليس سجية ذلك (قلّة الإنصاف) في الإنسان لأخيه الإنسان -فحسب-.. بل **"إن العود في أرضه نوعٌ من الخشب..!"**[3].

.. والله أعلم: أن هذا من أسباب التغرّب والفراق، أو البُعد عمّن لا يثمّن الذات..، قال قبلك أبو العتاهية:

أخوك الذي من نفسه لك منصفٌ"[4] إذا المرء لم يُنصفك[5] فليس أخاكا

و..كأن المثل القائل: "من عرفك صغيراً.. حقرك كبيراً".. ولّدهُ قلّة -أو عدم - "الإنصاف"، وكثرة الاستخفاف، وعدم الالتفاف على من يستحق..

---

[1] قال الأفوه الأودي:

.. ولم أرَ في الخطوب أشدّ هولاً وأصعب من معاداة الرجال

[2] من معلقة "طرفة بن العبد".

[3] - قال أبو تمام:

لولا احتراق النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب ريح العودِ.. -

[4] ..قال (د. أحمد أبو شادي):

وإذا الأخوّة أنصفت، لم يجترئ بين الخوارج من يدس إخاء

[5] .. وفي المثل -الفارسي- "لم يُنصفك.. من أحوجك إلى الشكوى"

وربما - من هذا - ما جعلك أيها الفذّ تُؤلّف هذا البيت:

..فلا عبرت بي ساعة لا تُعزّني ..ولا صحبتني مُهجةٌ تقبل الظُلما[1]

وهكذا أبداً.. أنت!!

١٢/ إذا ساء فعل المرء ساءت وصدّق ما يعتاده.. من توهم

وهذا الذي - ربما - .. يجعل أهل "المعاصي" -أعاذنا الله-يرون صور معاصيهم في الغير، فيتهمون.. دون وعيٍ منهم،

لكنها حقيقة تكشف عن أسرار "الذات" أو تشفّها.. وتُبيّن عن مكنون يعجز إخفاء صداه الداخلي[2] من ابتلي بشيء -نسأل الله العافية-، وهذا دليل على إدراك "ملكتكَ" بالنفس البشرية، كي تُخالجها، ولهذا قيل في المثل "إن السارق يسرّق الناس"..

- ربما -: لأنه يراهم بطبعه.. لا غير!.

ثم:

.. ولو أردت العود - للورود من ذا المعين - لرددت "باستطراد"..:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

أو/ ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

---

[1] ..وهذا.. صورة من قول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلّة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظلِ

[2] قال زهير بن أبي سلمى - في حِكمه -:

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

أو/ ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً لـه مـا مـن صداقتـه ..بـدُّ

أو/ ومـن العـداوة مـا ينـالك نفعـه ..ومـن الصداقـة مـا يضـر ويـؤلم

أو/ ستألف فقدان الـذي أنـت فـاقدُ كإلفك فقـدان الـذي أنـت واجـد

أو/ مـن يهـن يسـهل الهـوان عليـه مـا الجُرح بميّـت إيـلامُ

أو/ ذو العقـل يشـقى بالنعيم بعقلـه وأخـو الجهالـة بالشـقاوة ينعـمُ

أو .. أو .. إلخ..،

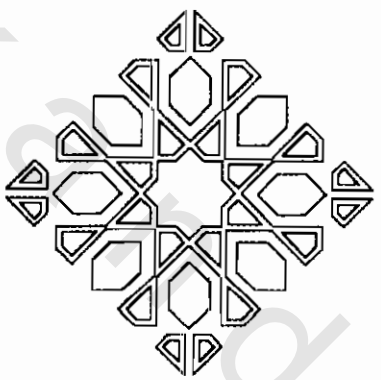

obeikandl.com